

البداية والنهاية

ليخلع عليه ويجعله نائبا من جهته فلم يجبه إلى ذلك بل قطع خطبته من الشام وخطب للطنائع العباسي ثم قصد صيدا وبها خلق من المغاربة عليهم ابن الشيخ وفيهم طالم بن موهوب العقيلي الذي كان نائبا على دمشق للمعز الفاطمي فأساء بهم السيرة فحاصروهم ولم يزل حتى أخذ البلد منهم وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف من سراتهم ثم قصد طبرية ففعل بأهلها مثل ذلك فعند ذلك عزم المعز الفاطمي على المسير إليه فبينما هو يجمع له العساكر إذ توفي المعز في سنة خمس وستين كما سيأتي وقام بعده ولده العزيز فاطمأن عند ذلك الفتكين بالشام واستفحل أمره وقويت شوكته ثم اتفق أمر المصريين على أن يبعثوا جوهرًا القائد لقتاله وأخذ الشام من يده فعند ذلك حلف أهل الشام لأفتكين أنهم معه على الفاطميين وأنهم ناصحون له غير تاركيه وجاء جوهر فحصر دمشق سبعة أشهر حصراً شديداً ورأى من شجاعة الفتكين ما بهره فلما طال الحال أشار من أشار من الدماشقة على الفتكين أن يكتب إلى الحسين بن أحمد القرمطي وهو بالحساء ليحيى إليه فلما كتب إليه أقبل لنصره فلما سمع به جوهر لم يمكنه أن يبقى بين عدوين من داخل البلد وخارجها فارتحل قاصداً الرملة فتبعه الفتكين والقرمطي في نحو من خمسين ألفاً فتوافقوا عند نهر الطواحين على ثلاث فراسخ من الرملة وحصروا جوهرًا بالرملة فضاقت حاله جداً من قلة الطعام والشراب حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك فسأل من الفتكين على أن يجتمع هو وهو على ظهور الخيل فأجابه إلى ذلك فلم يزل يترفق له أن يطلقه حتى يذهب بمن معه من أصحابه إلى أستاذه شاكرًا له مثنياً عليه الخير ولا يسمع من القرمطي فيه وكان جوهر داهيةً فأجابه إلى ذلك فندمه القرمطي وقال الرأي أنا كنا نحصرهم حتى يموتوا عن آخرهم فإنه يذهب إلى أستاذه ثم بجمع العساكر ويأتينا ولا طاقة لنا به وكان الأمر كما قال فإنه لما أطلقه الفتكين من الحصر لم يكن له دأب إلا أنه حث العزيز على الخروج إلى الفتكين بنفسه فأقبل في جحافل أمثال الجبال وفي كثرة من الرجال والعدد والأثقال والأموال وعلى مقدمته جوهر القائد وجمع الفتكين والقرمطي الجيوش والأعراب وساروا إلى الرملة فاقتتلوا في محرم سنة سبع وستين ولما تواجهوا رأي العزيز من شجاعة الفتكين ما بهره فأرسل إليه يعرض عليه إن أطاعه ورجع إليه أن يجعله مقدم عساكره وأن يحسن إليه غاية الإحسان فترجل أفتكين عن فرسه بين الصفيين وقبل الأرض نحو العزيز وأرسل إليه يقول لو كان هذا القول سبق قبل هذا الحال لأمكنني وسارعت وأطعت وأما الآن فلا ثم ركب فرسه وحمل على ميسرة العزيز ففرق شملها وبدد خيلها ورجلها فبرز عند ذلك العزيز من القلب وأمر الميمنة فحملت حملة صادقة فانهزم القرمطي وتبعه بقية الشاميين وركبت

المغاربة أقفيتهم يفتلون ويأسرون من شأؤوا وتحول العزيز فنزل خيام الشاميين بمن معه
وأرسل السرايا وراءهم